UJTE

UNIVERSAL JOURNAL OF THEOLOGY

e-ISSN: 2548-0952

Cilt/Volume: 9, Sayı/Issue: 1, Yıl/Year: 2024 (Haziran/June)

KUR'AN'I ANLAMADA SÜNNET'İN ETKİSİ

أثر السنة في فهم القرآن: دراسة تحليلية

The Effect of Sunnah in Understanding The Qur'an

ABDURAHİM AYDIN

Yüksek Lisans Öğrencisi, Yalova Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Temel İslami Bilimler Bölümü, Tefsir Anabilim Dalı.
Graduate Student, Yalova University, Faculty of Theology, Department of Basic Islamic Science, Department of Quranic Exegesis, Yalova/Türkiye

a.abdurahim.aydin@gmail.com https://orcid.org/0009-0007-0798-7097

Makale Bilgisi – Article Information Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/ Research Article
Geliş Tarihi/Date Received: 19/01/2024
Kabul Tarihi/Date Accepted: 27/06/2024
Yayın Tarihi/Date Published: 30/06/2024
Atıf/Citation: Aydın, Abdurahim. "Kur'an'ı Anlamada Sünnetin Etkisi". *Universal Journal of Theology* 9/1 (2024): 186-205. Doi: 10.56108/ujte.1422417

https://dergipark.org.tr/tr/pub/ujte

UJTE
e-ISSN: 2548-0952
Universal Journal of Theology, IX (1) (Haziran 2024):186-205

KUR'AN'I ANLAMADA SÜNNET'İN ETKİSİ

Abdurahim AYDIN

Öz

Kur'an ve Sünnet vahyin iki kaynağıdır. Kur'an'ın anlaşılmasında ve İslam'ın uygulanmasında Sünnet'e dayanıldığı ve onu korumanın dinin korunması olduğu konusunda şüphe yoktur. Nitekim Sünnet'in, Kur'an'ı açıklamak gibi bir prensibi vardır. Bu yönüyle Kur'an'ın hakikatlerini vurgulayıcı ve onayıcı olmasının yanında kanun koyucu bağımsız misyonu ile dinin temel referansları arasında yer almaktadır. Bu araştırma, Kur'an'ın anlaşılmasında Sünnet'in etkisinin bir disiplin olarak ilkelerini öz biçimde ortaya koymaya yöneliktir. Bu çerçevede konu müfredatında yer alan kavramlar üzerinde filolojik ve mahiyete dayalı bilgiler sunulmuştur. İslamî ilimler geleneğinde kabul görmüş ve teliflere giriş hüviyeti kazanmış olan on prensip esas alınarak konunun sınırları ve ilgi alanları belirlenmeye çalışılmıştır. Kur'an, Sünnet ve icmâ İslam'ın temel referans kaynaklarını oluşturmaktadır. Buna istinaden Sünnet'in dindeki yeri ve zarureti konusunda söz konusu temel referans kaynaklarından delillendirme eyleminde bulunulmuştur. Kadim ulemanın Sünnet'e yaklaşımı, İslam'ın ilk asırlarda nasıl anlaşıldığı ve anlaşılması gerektiği hususunda günümüz dünyasına büyük ip uçları vermektedir. Sünneti devre dışı bırakarak İslam'ı mütekamil bir şekilde anlamanın ve Kur'an'ı tam manası ile doğru bir şekilde yorumlamanın mümkün olmayacağı açıktır. Bundan dolayıdır ki, temel kaynak niteliğindeki Sünnet'in korunması açısından İslam'ın ilk asrından itibaren tedvin ve tasnif aşamasında ortaya konulan çalışmalar yeryüzünde öncesinde hiçbir ilmî disipline verilmemiş emek olarak ve hatta ilmî akademinin başlangıcı olarak kabul edilebilir özelliğe sahiptir.

Anahtar Kelimeler: Kur'an, Sünnet, Etki, Anlamak, Delil

أثر السنة في فهم القرآن: دراسة تحليلية

ملخص

القرآن والسنة مصدران من الوحي، وأن السنة لها أصل في الدين وبيان القرآن. ولا شك أنها مستند إليها في فهم القرآن وتفسيره وتطبيق الإسلام وأن حفظها حفظ للدين وحمايتها حماية له، لأن ثبوت حجية السنة من خلال كونها مفسرة للقرآن ومؤكدة لحقائقه ومستقلة بتشريع الأحكام ضرورة دينية منذ بداية الإسلام. تثبت لنا الدراسات حول القرآن الكريم أن علماء الإسلام اعتمدوا في بيان القرآن على تفسير القرآن بالقرآن ثم بما ثبت من السنة الصحيحة. وهذا البحث يمكن القارئ من معرفة مبادئ علم أثر السنة في فهم القرآن بشكل موجز ومختصر. يشكل القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع المصادر المرجعية الأساسية للإسلام. وبناءً على ذلك، فإن مكانة السنة وضرورتها في الدين قد اتضحت من هذه المصادر المرجعية الأساسية. وإن منهج العلماء القدامى في التعامل مع السنة النبوية في القرون الأولى يعطي دلائل عظيمة لعالم اليوم عن كيفية فهم السنة. ومن الواضح أنه لن يكون من الممكن فهم الإسلام فهماً كاملاً وتفسير القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً بترك السنة النبوية. ولهذا السبب يمكن اعتبار الدراسات التي أجريت في القرون الأولى للإسلام في عملية الجمع والتدوين والتصنيف والنقد من حيث حماية السنة التي هي المصدر الرئيسي بعد القرآن، عملاً لم يسبق أن قام به أي تخصص علمي في العالم من قبل، بل يمكن اعتبارها بداية الأكاديمية العلمية.

الكلمات المفتَاحية: القرآن، السنة، الأثر، الفهم، الحجية

The Effect of Sunnah in Understanding The Qur'an

Abstract
The Qur'an and the Sunnah are the two sources of revelation. There is no doubt that the Sunnah is relied upon in understanding the Qur'an and practicing Islam, and that protecting it is the protection of religion. Indeed, the Sunnah has the principle of explaining the Qur'an. In this respect, in addition to emphasizing and confirming the truths of the Qur'an, it is among the basic references of religion with its independent mission as a lawgiver. This research aims to explain the principles of the influence of the Sunnah in understanding the Qur'an as a discipline. The Qur'an, Sunnah and Ijmaa are the main reference sources of Islam. Accordingly, the place and necessity of the Sunnah in the religion has been proven from these basic reference sources. The ancient ulema's approach to the Sunnah gives great clues to today's world about how Islam was understood in the first centuries and how it should be understood. It is clear that it will not be possible to understand Islam in a complete way and to interpret the Qur'an correctly by leaving the Sunnah out of the picture. In terms of the protection of the Sunnah, the compilation and editing studies carried out in an unprecedented discipline in the first years of Islam can be considered as the beginning of the academy in the world.

Keywords: Qur'an, Sunnah, Effect, Understand, Evidence

مدخل

الحمد لله الذي أنزل قولا ثقيلا تكفل جمعه وقرآنه وحفظه والصلاة والسلام على رسولنا الذي أنزل عليه الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهذا بحث مشترك بين علوم القرآن وعلوم الحديث يرجع إلى العلاقة بين القرآن والسنة. وأردت أن أكتب في ذلك على منهج البحث العلمي.

فإننا في هذه الدراسة سنحاول على وضع المبادئ العشرة لمفهوم أثر السنة في فهم القرآن من اسمه وحده وموضوعه وفائدته واستمداده وحكمه ونسبته وفضله ومسائله وواضعه. ذلك لأن المبادئ العشرة تقرر المادة بكل أبعادها للقارئ والمهتمين بالموضوع.

وجمعت في هذا البحث الآيات والأحاديث والأخبار من العلماء الأقدمين التي تتمركز على وحدة القرآن والسنة وأن السنة الثابتة لها حجية في التشريع الإسلامي. وهذا الموضوع له مكان من الأهمية وذلك لأن السنة من حيث إنه مصدر تشريعي تعرضت للإنكار حجيتها منذ فترة بدائية للإسلام على اختلاف المنكرين لحجيتها.

اعتنى كل جيل منذ العهد الأول للإسلام بالحفاظ على السنة نقلا شفاهيا أو تدوينا كتابيا، وتلك العناية بالسنة تنوعت ومرت عليها مراحل كثيرة من مرحلة الجمع والتدوين والتصنيف. وتثبت النقاد في كل حديث أسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفتش كل رجال نقل أخباره حتى يتم التمييز بين السنة الثابتة وغير الثابتة وبين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع. وبدأت اعتبارا من عصر الصحابة والتابعين الرحلات العلمية للتثبت في الرواية والسؤال عن الإسناد. وهكذا حفظت السنة بالأسانيد بعيدا عن الشوائب والشكوك واستمرت السنة الثابتة

أن تكون مرجعا للتفسير وصالحة للحجية في التشريع الإسلامي، ولم يبق هناك مجال لإنكار حجيتها من حيث وصولها إلينا وثبوتها.

فرتبته على مدخل ومباحث وخاتمة.

التعريف بمفردات عنوان البحث:

القرآن

التعريف اللغوي للفظ القرآن مرتبط بعدة مقاييس. وذلك لوقوع الاختلاف بين العلماء في أصل كلمة القرآن. والخلاف بينهم يرجع إلى كونه مشتقا أم علما مرتجلا غير مشتق.[1] الذين قالوا بأنه علم ذهبوا إلى أنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل. والمشهور في هذا القول إن الإمام الشافعي يهمز الألف في مادة (قرأ) ولا يهمز الألف في لفظ القرآن.[2] والذين قالوا بأنه مشتق فاختلفوا في أصل اشتقاقه. ويرجع الخلاف بينهم إلى كونه من (ق ر أ) أم من (ق ر ن)؛ إذا كان هو من (ق ر أ) يتطرق الاحتمال إلى كونه من معنى (تلا) أو من معنى (جمع) وإذا كان هو من (ق ر ن) يتطرق الاحتمال إلى كونه من معنى (الضم) أو من معنى (القرائن).[3] والظاهر هو مصدر من مادة (ق ر أ) كالقراءة بمعنى التلاوة.

بعد ما انتهينا من تحديد المعنى نريد أن ندقق لفظ القرآن من حيث الشكل والنطق. واختلف العلماء كذلك في كونه مهموزا أو غير مهموز. والذي رجح أن لفظ القرآن من (ق ر أ) أثبت فيه الهمزة أصلية والنون زائدة؛ والذي رجح أنه من (ق ر ن) ذهب إلى أنه غير مهموز والنون فيه أصلية.[4] والظاهر أنه مهموز همزته أصلية، ونونه زائدة على زنة (فعلان) ويكون نطقه (القُرْآن) كما هو المشهور عند رواية حفص وغيره. وأما حذف همزته ونقل حركتها إلى الساكن قبلها على زنة (فعان) ويكون نطقه (القُرَان) كقراءة ابن كثير فمن باب التخفيف.

وعرف الزرقاني القرآن اصطلاحا بأنه: "الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته".[5]

---

1 فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الثانية عشرة، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2005)، 21-19

2 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، معرفة السنن والآثار، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الوفاء، 1991)، 472/14

3 محمد خازر المجالي، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، الطبعة الثانية (عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2005)، 11

4 عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني، مباحث في علم القراءات، الطبعة الأولى (الرياض: دار كنوز إشبيليا، 2011)، 15

5 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1943)، 19

وإن هذا التعريف يجمع بين أمور خمسة؛ الأول: الإعجاز. الثاني: الإنزال على الرسول صلى الله عليه وسلم. الثالث: الكتابة في المصاحف. الرابع: النقل بالتواتر. الخامس: التعبد بالتلاوة.

لقد اكتفينا بذكر التعريف الأشهر والأشمل للفظ القرآن بالمعنى الاصطلاحي دون أن ندخل في التفاصيل، وإن كانت إطلاقات القرآن تعددت تبعا لتعدد الاعتبارات المراد منها، "تارة باعتباره لفظا منطوقا، وتارة باعتباره نقشا مرموقا في المصحف، وتارة باعتباره الكلام النفسي القائم بذاته الأقدس جل جلاله".[6]

ومن الجدير أن نذكر من خصائص القرآن باختصار أنه كلام عربي ومعجز بوجوه لا تحد ولا ترد والمنزل لفظا ونظما ومعنى من الله تعالى أنزله بواسطة الروح الأمين على نبيه صلى الله عليه وسلم والمكتوب في المصاحف مبدوء بسورة الفاتحة ومختوما بسورة الناس والمنقول إلينا بالتواتر والمتعبد بتلاوته.

السنة:

هي في التعريف اللغوي؛ الطريقة[7] مطلقا، بمعنى الطريقة المتبعة والمتكررة أو السيرة المستمرة سواء كانت حسنة أم سيئة.[8] قال ابن فارس: أن مادة (السين) و (النون) هي أصل يدل على جريان الشيء جريًا سهلًا[9]، وأن أصل استعمال هذا اللفظ كان للماء، فكان يُقال مثلًا: سَننت الماء، والمراد هنا أنني قد أجريته في طريق، وهي مأخوذة من كلمة (سَنَنَ) بالفتح، ومصدره (سَنٌّ) بضم النون وتشديدها.

لقد ورد لفظ السنة في القرآن والأحاديث؛ ومثال ذلك قوله تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}[10]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها ... ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ..."[11] والظاهر من مضمون الحديث أن المشار إليه هو من ابتدأ أو اخترع طريقة ليقتدى به فيها. وقد بين محمد عجاج الخطيب أن كل من قد ابتدأ أمرًا معينا، ثم قامت به الناس من بعده، يُقال عنه بأنه هو من سنَّه.[12]

وبالخلاصة أن السنة هي الطريقة المتبعة، وورودها في الآية والحديث المذكوران يدل على ذلك بكل صراحة. وهي عند أهل اللغة إذا أطلقت مفردة ومعرفة بالألف واللام يراد بها الطريقة أو السيرة الحسنة فقط ولا يراد بها السيئة

---

6 إبراهيم عبد الرحمن خليفة، الموسوعة القرآنية المتخصصة (مصر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، ٢٠٠٢)، 100/1

7 محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965-2001) 229/35

8 محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الطبعة الثالثة (بيروت: دار صادر، 1993)، 225/13؛ نورالدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الرابعة والثلاثون (دمشق: دار الفكر، 2015)، 27

9 ينظر: أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة (دمشق: دار الفكر، 1979)، 60/3

10 سورة الإسراء 77

11 مسلم بن الحجاج القشيري، الصحيح، الطبعة الأولى (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1422) (كتاب الزكاة) 1018 ، باختصار.

12 ينظر: محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004)، 14

إلا مقيدة.[13] وهي في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولغة الصحابة والمتقدمين من العلماء إذا أطلقت مفردة ومعرفة بالألف واللام أريد بها الطريقة المشروعة المتبعة في الإسلام من خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وطريقته التي كان يتحراها في تنفيذ ما بعثه الله عز وجل به من الشريعة الإسلامية.

وبين نور الدين عتر أن السنة في الأعراف الإسلامية تُطلق على طريقة الإسلام[14]، وأقوى دلالة واقعية على هذا الاستعمال العرفي أن السنة تستعمل بالمعنى المضاد ضد البدعة[15] التي هي تمثل ما كان مخالفا ومناقضا للطريقة التي ثبتت بالقرآن والسنة. وقد ذكر محمد عجاج الخطيب أن السنة إذا ما أُطلقت في شرعنا الحنيف فيُراد بها ما أمر به صلى الله عليه وسلم، وما نهى عنه، وما ندب إليه سواءً قولًا أو فعلًا، ولهذا يقال في أدلة الشرع، الكتاب والسنة بمعنى الآخر القرآن والحديث. [16]

السنة عند بعض المحدثين مرادفة للحديث، ذلك لأن السنة طريقة مشروعة التي استنها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بالقول أو الفعل أو التقرير؛ بينما نجد من العلماء من يفرق بين السنة والحديث، فيطلق لفظ الحديث على ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ويطلق لفظ السنة على الواقع العملي في تطبيقات الشريعة من عهد الرسول إلى نهاية عصر الصحابة.[17] ويؤكد لنا ذلك قولهم "في الحديث كذا والسنة على خلافه" بأن ما كان عليه العمل في الصدر الأول للإسلام على خلاف ما ورد في الحديث.[18] ومما يدل على التفريق بين اللفظين ذلك التفريق الذي أورده عبد الرحمن بن مهدي، إذ ذهب إلى أن الأوزاعي هو إمام ليس بإمام في الحديث ولكنه إمام في السنة، وذهب إلى أن سفيان ليس بإمام في السنة ولكنه إمام في الحديث، وذهب إلى أن الإمام مالك إمام في السنة، وإمام في الحديث.[19]

كما أن العبارات تختلف من علوم إلى علوم أخرى بناء على تخصص أهلها من حيث الاصطلاح والأمر كذلك في اصطلاح السنة فتختلف معانيها بتعدد المعرفين واعتباراتهم خاصة من المحدثين والأصوليين والفقهاء على المشهور،[20] ونجد ذلك التباين في الكتب التي اعتنى مصنفوها فيها بعلوم الحديث وأصول الفقه على الغالب. ونلاحظ

---

13 محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (دمشق: دار الكتاب العربي، 1999)، 95/1

14 يُنظر: نورالدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص:27

15 محمد عجاج الخطيب، المختصر الوجيز في علوم الحديث، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2000) 18

16 ينظر: محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، 15

17 محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، الطبعة السادسة (بيروت: المكتب الإسلامي، 1997)، 32

18 محمد بن لطفي الصباغ، الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، الطبعة الثامنة (بيروت: المكتب الإسلامي، 2003)، 142

19 ينظر: القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 1965) 153/1

20 مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار السلام، 2006)، 57-58

أن أهل التفسير لا يخصهم أي تعريف للسنة، ولعلنا نتخذ من هذا الموقف أنهم يوافقون في ذلك على تعريف أهل الحديث لما كان هم أهل التخصص في ذلك.

بحث المحدثون في السنة عما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والتقرير، وبحثوا أيضًا عن الصفات الخلقية بضم الخاء والصفات الخلقية بفتح الخاء، وبحثوا أيضًا عن سيرته صلى الله عليه وسلم وشمائله قبل البعثة وبعدها، وليس من الاشتراط عندهم أن تكون السنة تثبت حكما شرعيا. أما الأصوليون بحثوا في السنة عما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير مما تثبت حكما شرعيا. لذلك اقتصروا في تعريف السنة عندهم على أقواله وأفعاله وتقريراته دون بقية المعايير المذكورة عند أهل الحديث. وأما الفقهاء بحثوا في السنة عما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون فرضا أو واجبا، من خلال بحثهم عن حكم الشرع في صنيع العباد وجوبا أو حرمة أو غير ذلك.[21]

ويظهر لنا أن المحدثين والأصوليين اعتبروا في تعريفاتهم بالسنة ماهيتها، وأما الفقهاء اعتبروا في ذلك أنها صفة شرعية للفعل المطلوب طلبا غير جازم فيثاب المرء على فعله ولكنه يعاقب على تركه. ومن الجدير أن نذكر أن هناك استعمالا آخر للسنة فهي استعمالها بما يقابل البدعة نقيضا لها، وفي هذا الاستعمال إذا كان العمل يوافق الشرع يعتبر سنة سواء كان شرعه في الكتاب أم في السنة وإذا كان العمل يخالف الشرع يعتبر بدعة. والذي يظهر لي أن استعمال السنة بالمعنى المضاد للبدعة استعمال مجازي، وإلا فليس كل ما لا يوصف بالبدعة بسنة، وبالعكس كذلك.

الأثر

يطلق الأثر على معان متعددة، منها البقية التي تتبقى من الشي والعلامة التي يخلفها الشي والنتيجة المترتبة على التصرف القولي والفعلي والمادي والمعنوي والعاقبة التي تتعقب الشيء. والجمع: آثار، وأثور.

قال صاحب مختار الصحاح "الأثر بفتحتين ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف؛ والتأثير إبقاء الأثر في الشيء".[22] وقال صاحب المعجم الوسيط "أثر فيه ترك فيه أثرا وتأثر الشيء ظهر فيه الأثر".[23] وذكر الجرجاني للأثر ثلاثة معان؛ النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والعلامة والجزء.[24]

ولم أجد في الأثر معنى متعارفا عليه في الاصطلاحات العلمية من العلوم الإسلامية إلا أن الأثر أطلق في علوم الحديث وأريد به عدة معان مختلف فيها. وذلك يختص بمخرج الأخبار عندهم في الروايات.

لقد اعتنى العلماء في موضوعات أثر السنة في فهم القرآن من الماضي إلى الحاضر في مؤلفات سموها بمكانة السنة أو بموقف السنة أو بمنزلة السنة. فإننا سنحاول على الكشف عن دور السنة في فهم القرآن الكريم أو تفسيره.

---

21 محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، 16-18

22 محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الحنفي، مختار الصحاح (بيروت: المكتبة العصرية، 1999)، 13

23 إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط (مصر: مكتبة الشروق الدولية، 2004)، 5/1

24 علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، 9

الفهم

قال صاحب معجم مختار الصحاح "فهم الشيء بالكسر فهما وفهامة أي علمه، واستفهمه الشيء فأفهمه وفهمه تفهيما".[25] وقال صاحب المعجم الوسيط "الفهم حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط".[26]

والفهم هو الإدراك والعلم ؛ أما الفرق بين الفهم والعلم أن العلم مطلق الإدراك بمعنى إدراك الشيء على ما هو عليه، وأما الفهم فهو تصور المعنى من اللفظ وسرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها. وقال الآمدي "إن الفهم هو جودة الذهن من جهة تهيئته لاقتناص ما يرد عليه من المطالب".[27] والظاهر أن الفهم خطوة مقدمة من الخطوات الموصلة إلى مرحلة الإدراك والعلم.

لا شك أن الناس في الفهم ليسوا على مرتبة واحدة أو على التساوي بل يختلفون في مراتب الفهم على طبيعتهم. وإننا نلفت النظر إلى علماء الإسلام أنهم يختلفون في فهم النصوص من القرآن أو السنة، وإذا استشكل عليهم فهم نصوص من القرآن رجعوا إلى السنة. وهذا التصرف من المتقدمين مهد للمتأخرين المنهج العلمي وبهذا استمر بقاء أثر السنة في فهم القرآن على وجه الخصوص وفي فهم الدين على وجه العموم.

المبحث الأول: المبادئ العشرة لأثر السنة في فهم القرآن الكريم

إنه يجب علينا أن نعرف هذا العلم من خلال مبادئه، لأن تعلم أي علم نريد أن نتعلمه يفرض علينا أن نعرف مبادئه العشرة:

المبدأ الأول: اسمه. والمبدأ الثاني: حده. والمبدأ الثالث: موضوعه. والمبدأ الرابع: ثمرته وفائدته وغايته. والمبدأ الخامس: استمداده. والمبدأ السادس: حكمه. والمبدأ السابع: نسبته. والمبدأ الثامن: فضله. والمبدأ التاسع: مسائله. والمبدأ العاشر: واضعه.

المبدأ الأول: اسمه

أثر السنة في فهم القرآن ووظيفتها ودورها في بيانه ومنزلتها وموقفها منه.

المبدأ الثاني: حده

فهو علم من علوم القرآن والحديث وأصولهما يعرف به موقف السنة ومكانتها ومنزلتها من القرآن، ووجوه بيانها له، والارتباط والعلاقة بينهما.

---

25 محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الحنفي، مختار الصحاح، 244

26 إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، 704/2

27 علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام (بيروت: المكتب الإسلامي، 1981)، 6/1

المبدأ الثالث: موضوعه

فهو القرآن والسنة من حيث حجيتهما والعلاقة بينهما وبيان القرآن بالسنة من أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته التي يتوقف عليها تفسير القرآن وآياته.

المبدأ الرابع: ثمرته وفائدته وغايته

فهي حفظ الوحي بنوعيه المتلو (القران) وغير المتلو (السنة). وتكوين ملكة يتأتى بها إلى إدراك ما في السنة من البيان والتشريع وبالخصوص إلى إثبات حجية السنة في التشريع الإسلامي والدفاع عنها. ولا طريقة سليمة إلى الدفاع عن السنة إلا عن طريق إثبات العلاقة بينهما.

المبدأ الخامس: استمداده

يستمد هذا العلم من القرآن والسنة وعلومهما وأصولهما...

المبدأ السادس: حكمه

إنه فرض عين على من انفرد به وفرض كفاية على من دونهم. لأن الدفاع عن السنة من الضرورة في الدين. وهذه الضرورة تستند إلى أن السنة من أساس التشريع الإسلامي تأتي بعد القرآن الكريم في المرتبة الثانية.

المبدأ السابع: نسبته

ينسب علم أثر السنة في فهم القرآن إلى علم أصول الفقه والحديث والتفسير. ذلك لأن هذا العلم يعتبر جزأ من علوم التفسير والقرآن من حيث إنه يتعلق بفهم القرآن، وجزأ من علوم الحديث والسنة حيث إن مادته تتكون مما ورد في السنة. وجزأ من أصول الفقه ذلك لأن أصول الفقه أول ما تكلمت فيه مباحث حجية السنة والدفاع عنها وأول من تكلم فيها الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) على حسب ما وقفت عليه.[28] ولا شك أن كل ما يتعلق بالتشريع الإسلامي له مكان في علم أصول الفقه.

المبدأ الثامن: فضله

إن هذا العلم من أشرف العلوم، ذلك لأنه يهتم بموضوع الوحي من القرآن والسنة. ويتحقق من خلاله الحصول على العلوم والفنون التي يحتاج إليها في تفسير القرآن وكيفية التعامل مع السنة. وقد حاز هذا العلم الشرف بسبب كونه أصلا من أصول العلوم الإسلامية عامة ومن أصول التفسير والحديث الفقه خاصة. وكفى فضلا أن هذا العلم يمكن المشتغلين به من المعارف الدينية ومعرفة حجية السنة وأثرها في تفسير القرآن الكريم وبيانه.

المبدأ التاسع: مسائله

[28] مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (القاهرة: دار السلام، 2006) 139

المقصود بمسائله؛ الجزئيات التي يتكون منها هذا العلم، وهي كثيرة منها حجية السنة وماهيتها ووجوه علاقتها بالقرآن وتفسيره ومنزلتها من القرآن.

ما هي النصوص والأقوال والآثار التي تد على حجية السنة ومنزلتها من القرآن ووحدتيها معه؟

ما حكم تفسير أو مفسر يخالف السنة الصالحة للحجية؟ وما هدف منكري حجية السنة؟

ما هي الأحاديث التي تدل على حجية السنة ومكانتها ومنزلتها من الإسلام والقرآن؟

ما هي المسلمات في كون السنة مصدرا أصيلا في الشرع عامة وفي التفسير خاصة؟

ما هي الشروط التي اشترطها العلماء في كون قول الصحابي والتابعين مرفوعا حكما؟

ما مقدار تفسير النبي للقرآن؟

ما هو تعليقنا على القول بأن السنة جاءت قاضية على الكتاب، ولم يكن الكتاب قاضيا على السنة، والقرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن؟

هل السنة محفوظة؟

المبدأ العاشر: واضعه

فقد كان هذا الفن إلى القرن الحادي والعشرين أحد الموضوعات التي تناولته كتب علوم القرآن المشهورة بين أيدينا اليوم من أمثال:

–البرهان في علوم القرآن للزركشي.
–والإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
–ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.

وكتب علوم الحديث والفقه بنوعيهما، وغير هذه الكتب حتى رأى العميد المؤسس لكلية العلوم الإسلامية بجامعة ياللووا الأستاذ الدكتور إبراهيم خطيب أغلوه منذ فترة وجيزة إفراد هذا الفن بالدراسة وإعطائه اسما مخصوصا يتميز به عن بقية موضوعات علوم القرآن والسنة والفقه. وهذا من حيث وضعه علم مستقل وإلا هو من العلوم التي نشأت في عصر الصحابة والتابعين. واقتدى بكلية العلوم الإسلامية بجامعة ياللووا بعض الكليات والجامعات فقرر هذه المادة.

المبحث الثاني: الأحاديث التي تدل على موقف السنة من القرآن

إن هناك نصوص كثيرة من السنة تدل على وحدة القرآن والسنة وكونهما نظيران ومثيلان في الحجية والمرجعية ووجوب الاتباع والطاعة إلى غير ذلك من وجوه شتى. فأما الأدلة من السنة على وحدة القرآن والسنة فكثيرة، سنذكر منها ما يلي؛

قال البخاري، حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»[29] يتبين لنا من حديث أبي هريرة أن الطاعة لله ولرسوله متلازمان.

قال البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[30] يتضح لنا من حديث أبي هريرة أن الإباءة تترتب على العصيان للنبي صلى الله عليه وسلم. فالإباءة تمنع المرء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من دخول الجنة.

قال أبو داود، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة، حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف عن المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها»[31]

وفي رواية ابن ماجه عن الحسن بن جابر، عن المقدام بن معد يكرب الكندي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك الرجل متكئا على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[32] الحديث فيه دلالة على أن السنة وحي منزل من الله تعالى كما أن القرآن وحي منزل من الله. وذلك يفيد لنا أن القرآن والسنة بينهما الكفاءة من حيث المصدرية. والمفهوم من حديث المقدام بن معد يكرب الكندي أن السنة لها موقف في التشريع الإسلامي الذي تنبني عليه التشريع والقوانين الإسلامية.

---

29 محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2014) (كتاب الأحكام) 7137

30 البخاري، الصحيح، (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) 7280

31 سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، السنة، الطبعة الأولى، (الرياض، دار السلام، 2009) (كتاب السنة) 4604

32 محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله القزويني، السنن، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، 2009) (أبواب السنة) 12

ذكر حسين الذهبي تعليقا على الحديث المذكور أن فيه "التحذير من مخالفة السنة التي سنها الرسول وليس لها ذكر في القرآن، كما هو مذهب الخوارج والروافض الذين تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب".[33]

قال أبو داود، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلي وابن كثير، قالوا حدثنا سفيان، عن أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[34] رجال الحديث كلهم ثقات. وروى هذا الحديث الترمذي في كتاب العلم[35] بألفاظ متقاربة وقال هذا حديث حسن صحيح. يظهر لنا من مضمون الحديث أن هناك سيكون من ينكر حجية الحديث النبوي من الأمة وأنهم سيتبعون القرآن دون اتباعهم الحديث. وهذا شيء لا يتوافق مع معالم التعاليم الإسلامية.

قال مالك، أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه».[36] وفي الحديث الحث على الاعتصام بالكتاب والسنة إلا أن لفظ "سنة نبيه" لم يرد في رواية مسلم، وأبي داود، وابن ماجه. وفي رواية الترمذي "كتاب الله، وعترتي أهل بيتي" ورد بهذا اللفظ.

المبحث الثالث: الآيات التي تدل على منزلة السنة وموقفها من القرآن

فإن في القرآن آيات تأمر بطاعة رسول الله واتباعه وآيات تبين أن من وظائفه الهامة تبليغ القرآن وتبيينه. وفي هذه الآيات القرآنية إشارة إلى وحدة القرآن والسنة والعلاقة بينهما. وسنبدأ من الآيات التي تتوارد على قضية واحدة وهي طاعة والرسول واتباعه، وليس هناك سبيل لطاعته إلا اتباعا لسنتة. ونعقبها الآيات التي أشارت إلى وظيفة الرسول، وهي البيان والتعليم فليس ذلك إلا من خلال سنته. ثم نتبعها الآيات التي وجهت إلى الامتثال لما قضى الرسول وحكم وأمر ونهى.

كلف الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين لأمته القرآن. لأن القرآن فوق سائر كلام العرب سواء كان بألفاظه أم أساليبه البلاغية فضلا عن معانيه. وأدى ذلك أن يراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما غمض أو أشكل عليهم لفظ من القرآن وفسر لهم النبي ذلك تعليما لهم.

---

33 محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000)، 43/1

34 أبو داود، السنة، (كتاب السنة) 4605

35 محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، الجامع الكبير، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، 2009) (كتاب العلم) 2663

36 مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، الموطأ، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2017) (كتاب القدر) 1718

وهناك آيات كثيرة في الحث على اتباع السنة ووجوب لزومها وتحريم مخالفتها، ولكن المقام لا يتسع لسردها كلها هنا.

أولا: آيات تدل على طاعة الرسول واتباعه

لقد توارد ذكر طاعة الرسول متحدا بذكر طاعة الله في كثير من موضع القرآن. وقال ابن عبد البر "وقد أمر الله عز وجل بطاعته واتباعه أمرا مطلقا مجملا لم يقيد بشيء ولم يقل ما وافق كتاب الله".[37] وفي كلام ابن عبد البر اعتراض على من يحتج بما في القرآن معرضا عن الاحتجاج بما ثبت في السنة.

قول الله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[38]

قول الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[39]

قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}[40]

قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}[41]

قول الله تعالى: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[42]

قول الله تعالى: {يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَالَكُمْ}[43]

ثانيا: آيات تدل على مكانة النبي في فهم القرآن ووظائفه في تبليغ القرآن وتبيانه

فإن ضرورة الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم تستند إلى نصوص قرآنية، منها أنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى. وفي سنته الثابتة ما يستفاد به في التعليم والتربية والتشريع.

قول الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[44]

قال إبراهيم خليفة: "إن خير من يمكن أن يفسر الشيء من تكون أهَمُّ وظائفه تبيان ذلك الشيء."[45]

---

37 أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (السعودية: دار ابن الجوزي، 1994)، 1189/2

38 سورة النساء: 80

39 سورة النور: 56

40 سورة الأنفال: 20

41 سورة النساء: 64

42 سورة الشعراء: 107- 108

43 سورة محمد 33

44 سورة النحل: 44

45 إبراهيم عبد الرحمان خليفة، المنهاج في مناهج التفسير والمفسرين، الطبعة الأولى (إسطنبول: مكتبة الآثار القديمة، 2022)، ص: 237

قول الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} {إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى}[46]

قال إبراهيم خليفة: "إن خير من يمكن أن يفسر القرآن ومن ينبغي أن يطلب منه تفسيره بعد الله تعالى في محكم كتابه هو رسوله الذي حدثنا ربه فيما حدث من وصفه أنه لا ينطق عن الهوى".[47]

قول الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[48]

كان للنبي صلى الله عليه وسلم وظائف التبليغ لما أنزل إليه والتعليم بما فيه من الحقائق والألفاظ. ولا شك أن بيان الكتاب في السنة. قال جمال الدين القاسمي في تفسيره للآية المذكورة: "الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة".[49] وفسر كثير من العلماء هذه الآية على نحو ذلك. وفيما وقفت عليه أول ما نص على ذلك الشافعي في كتابه 'الرسالة'.[50] قال السباعي "ذهب جمهور العلماء والمحققون إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن وهي ما أطلعه الله على نبيه من أسرار دينه وأحكام شريعته ويعبر العلماء عنها بالسنة".[51]

ثالثا: آيات تدل على الامتثال للرسول في الحكم والقضاء والأمر والنهي

وهناك آيات تدل على أن الله افترض على المسلمين اتباع الرسول فيما أمرهم به أو نهاهم عنه أو فيما حكم بينهم في المنازعات.

قول الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[52]

قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}[53]

قول الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[54]

---

46 سورة النجم: 3-4

47 إبراهيم عبد الرحمان خليفة، المنهاج في مناهج التفسير والمفسرين، ص: 236

48 سورة آل عمران: 164

49 جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، ص: 452/2

50 محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، الطبعة الأولى (مصر: مصطفى البابي الحلبي، 1938)، 78

51 مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، 59

52 سورة الحشر: 7

53 سورة الأحزاب: 36

54 سورة النساء: 65

قول الله تعالى: {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[55]

قول الله تعالى: {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[56]

قول الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[57]

المبحث الرابع: الآثار والأقوال الواردة عن السلف الدالة على وحدة القرآن والسنة والعلاقة بينهما:

قال ابن مسعود (ت 32): "لو تركتم سنة نبيكم لضللتم".[58] وفي قوله شدة في التحذير من ترك السنة وبيان أن السنة تجعل المرء في دينه الإسلام مستقيما. وقال: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة".[59]

قال أبو الدرداء (ت 32): "من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخبرني عن رأيه".[60] والملاحظ من قول أبي الدرداء أن الصحابة إذا كان في المسائل نص في السنة الثابتة يقدمونها على آرائهم الشخصية.

قال الأوزاعي عن مكحول (ت 112): "القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن".[61] لقد تعقب ابن عبد البر قول مكحول بأنه "يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه وهذا نحو قولهم ترك الكتاب موضعا للسنة، وتركت السنة موضعا للرأي".[62]

قال يحي بن أبي كثير (ت 129): "السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيا على السنة".[63]

قال أحمد بن حنبل: "إن السنة تفسر الكتاب وتبينه".[64]

---

55 سورة الأعراف: 107

56 سورة الأعراف: 107

57 سورة النور: 63

58 أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (السعودية: دار ابن الجوزي، 1994)، 1207/2

59 أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الزهد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999)، 131

60 مالك بن أنس، الموطأ، (كتاب البيوع) 1371

61 أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، المدخل إلى علم السنن (القاهرة: دار اليسر للنشر والتوزيع، 2017) 485/2

62 ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 1193/2

63 محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي، السنة (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987)، 33

64 إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات (القاهرة: دار ابن عفان، 1997)، 345/4

قال أبو حنيفة (ت 150): "إياكم والقول في دين الله تعالى بالرأي عليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل ودخل عليه مرة رجل من أهل الكوفة والحديث يُقرأ عنده فقال الرجل دعونا من هذه الأحاديث فزجره أبو حنيفة أشد الزجر وقال له لولا السنة ما فهم أحد منا القرآن".[65]

قال الشافعي (ت 204): "السنة لا تكون أبدا إلا تبعا للقرآن بمثل معناه ولا تخالفه، فإذا كان القرآن نصا فهي مثله، وإذا كان جملة أبانت ما أريد بالجملة، ثم لا تكون إلا والقرآن محتمل ما أبانت السنة منه".[66]

المبحث الخامس: مؤلفات في علم أثر السنة في فهم القرآن

ولهذا العلم مظان كثيرة، منها كتب أصول الحديث وكتب أصول التفسير وكتب أصول الفقه. هناك مؤلفات كثيرة في بيان العلاقة بين القرآن والسنة، منها:

مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، لجلال الدين السيوطي (ت 911). الكتاب مطبوع، كتبه المؤلف في الدفاع عن حجية السنة ردا على المزاعم أن السنة والأحاديث المروية لا يحتج بها وأن الحجة في القرآن خاصة. وناقش فيه المؤلف مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالسنة والاحتجاج بها وحديث "ما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتم له أصلا فخذوا به وإلا فردوه"، وحاول أن يثبت بطلانه. واستعرض المؤلف كذلك المسلمات في أن السنة هي مصدر ثانوي للتشريع في الإسلام.

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي (ت 1964). الكتاب مطبوع، قدم لأول مرة رسالة علمية لنيل الشهادة العالمية في جامعة الأزهر، سنة 1949. ونشرت أبحاثه بصورة موجزة في بعض المجلات العلمية ثم قام المؤلف بإضافة البحث المتعلق بأبي هريرة اعتراضا على ما جاء به كتاب أبي رية ثم طبع كتابا مستقلا.[67] وقد كتب المؤلف تمهيدا طويلا للكتاب وأرخه في التمهيد بسنة 1960. وأقدم ما وقفت عليه من الطبعة، ما نشرته الدار القومية للطباعة والنشر سنة 1966 في القاهرة؛ وأما أشهر ما اعتمد عليه الباحثون منذ ظهور الكتاب طبعة المكتب الإسلامي. والكتاب يعد من أفضل ما كتب في السنة وحجيتها ومكانتها في التشريع الإسلامي والرد على الشبهات التي أثيرت حول السنة النبوية.

السنة المفترى عليها، لسالم البهنساوي (ت 2006). الكتاب مطبوع، صدرت الطبعة الأولى بنشر دار الوفاء ودار البحوث العلمية، سنة 1977. قام المؤلف فيه بدراسة الدفاع عن السنة وكشف خصومها من المحدثين

65 عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل العراقي، المستخرج على المستدرك للحاكم (القاهرة: مكتبة السنة، 1989)، 15

66 محمد بن إدريس الشافعي، الأم، الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر، 2009)، 623/8

67 مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، 17

والقدامى لإلغاء مكانتها في التشريع الإسلامي بدعوى أن السنة قد تأخر تدوينها فأصبحت متعارضة.[68] فتناول الكتاب مباحث السنة ومكانتها في تفسير القرآن.

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لعبد الحليم محمود (ت 1978). الكتاب مطبوع، وأقدم ما وقفت عليه من الطبعة ما نشرته المكتبة العصرية سنة 1977 في بيروت. ألمّ المؤلف فيه بتاريخية السنة بصورة موجزة ثم بما تعرضت السنة لمحاولة الوضع في الحديث، وجهود العلماء في الذب عنها من المفتريات والشبهات انطلاقا من القواعد والأسس والمبادئ. وتطرق المؤلف لمكانة السنة وأن النبي صلى الله عليه وسلم مشرّع فيما لا نص فيه من كتاب الله.[69] ومن مراجع عبد الحليم محمود في تأليفه كتاب 'السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي' للسباعي.

حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق (ت 1983). الكتاب مطبوع، نشره المعهد العالمي للفكر الإسلامي بدار الوفاء سنة 1986 في القاهرة. وأرخ المؤلف في المقدمة بالتاريخ 1942، ذلك لأن الكتاب قدم لأول مرة رسالة علمية لنيل الدكتوراه في جامعة الأزهر. وهو يعد من أوسع ما ألف في إثبات حجية السنة. والمؤلف يشير في الكتاب إلى مساواة السنة للقرآن واستقلاليتها في التشريع الإسلامي. ويناقش الشبه التي أوردها من ينكر حجية السنة ويقوم بالرد عليها. والمؤلف يجلب الانتباه في كتابه إلى التفريق بين حجية السنة من حيث هي السنة وحجية الأخبار المروية من حيث وصولها إلينا باعتبارها من السنة.

دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، لمحمد بن محمد أبو شهبة (ت 1983). الكتاب مطبوع، طبعته مكتبة السنة سنة 1989 في القاهرة. وألحقته ثانيا بكتاب **'بعض الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا'** للمؤلف نفسه، وكان ذلك طبعته الأولى المنشورة عن مخطوطة للمؤلف بعد وفاته؛ وثالثا بكتاب **'بيان الشبه التي أوردها بعض من ينكر حجية السنة والرد عليها'** لعبد الغني عبد الخالق. بحث أبو شهبة في كتابه الأول الذي نحن بصدده حجية السنة ومنزلتها من القرآن وانتقد على كتاب 'أضواء على السنة المحمدية' لأبي رية ورد عليه ردا تفصيليا. أما في كتابه الثاني ذكر فيه أبو شهبة الشبهات التي أثيرت من قبل المستشرقين ومن غيرهم قديما وحديثا حول حجية السنة فجاوب عليها مفندا لها في بعض المواضع تفصيليا والمواضع الأخرى إجماليا. أما الكتاب الثالث فهو مبحث مستقل من كتاب حجية السنة لعبد الغني عبد الخالق.

تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها، لعبد القيوم السحيباني أستاذ في كلية الحديث بالمدينة المنورة. الكتاب مطبوع. اختصر المؤلف في هذا الكتاب. استعرض فيه أدلة من الكتاب والسنة وأقوالا من العلماء المتقدمين للدفاع عن السنة. والكتاب يوضح صورة التزام العلماء القدامى بالسنة وإنكارهم على المخالفين لها.

---

68 سالم علي البهنساوي، السنة المفترى عليها، الطبعة الرابعة (المنصورة: دار الوفاء، 1992)، 9-17

69 عبد الحليم محمود، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (بيروت: المكتبة العصرية، 1977)، 30

الخاتمة:

إن هذا العلم جزء من علوم القرآن وعلوم الحديث وأصول الفقه إلا أنه أفرد للتأليف لأهميته. وتتأتى أهميته من أنه يقوم بدراسة الدفاع عن السنة بينما يثبت مكانة السنة في التشريع الإسلامي عموما وفي التفسير خصوصا. ذلك لأن السنة بكل أنواعها مصدر من مصادر التفسير. فإن الأدلة من القرآن والسنة والأقوال من العلماء على حقيقة السنة تثبت دورها وموقفها في فهم القرآن. وذكرنا من الكتب التي اهتمت بالسنة من حيث حجيتها وثبوت مكانتها في القرآن والتشريع الإسلامي توجيها لهذه الدراسات في عصرنا هذا ضد تخطيطات التعليم التي يبتعد الأجيال فيه عن حقيقة السنة. واستنتجنا من النصوص أن السنة مبينة ومفصلة للقرآن الذي يقرر للمسلمين الأصول الفكرية والأسس الاجتماعية والسياسة والتعاليم الروحانية ونجد تفصيلات كل ذلك في السنة التي هي تطبيق القرآن والدين موروثا للأجيال ما بعدها.

المصادر والمراجع

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الطبعة الثالثة (بيروت: دار صادر، 1993)
أبو الفضل، القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 1965)
أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنة، الطبعة الأولى، (الرياض، دار السلام، 2009)
أبو عمر، يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (السعودية: دار ابن الجوزي، 1994)
الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، الموطأ، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2017)
الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام (بيروت: المكتب الإسلامي، 1981)
أنيس، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط (مصر: مكتبة الشروق الدولية، 2004)
البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2014)
البهنساوي، سالم علي، السنة المفترى عليها، الطبعة الرابعة (المنصورة: دار الوفاء، 1992)
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الوفاء، 1991)
البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، المدخل إلى علم السنن (القاهرة: دار اليسر للنشر والتوزيع، 2017)
الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الكبير، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، 2009)
الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)
الحنفي، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، مختار الصحاح (بيروت: المكتبة العصرية، 1999)
الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004)
الخطيب، محمد عجاج، المختصر الوجيز في علوم الحديث، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2000)
خليفة، إبراهيم عبد الرحمن، الموسوعة القرآنية المتخصصة (مصر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، ٢٠٠٢)
خليفة، إبراهيم، المنهاج في مناهج التفسير والمفسرين، الطبعة الأولى (إسطنبول: مكتبة الآثار القديمة، 2022)
الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000)
الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة: الثانية عشرة (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2005)
الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965-2001)
الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1943)
السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار السلام، 2006)
الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق، الموافقات (القاهرة: دار ابن عفان، 1997)
الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، الطبعة الأولى (مصر: مصطفى البابي الحلبي، 1938)، 78
الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر، 2009)

الشـــوكاني، محمد بن علي، إرشـــاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصـــول (دمشـــق: دار الكتاب العربي، 1999)

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله، الزهد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999)

صالح، محمد أديب، لمحات في أصول الحديث، الطبعة السادسة (بيروت: المكتب الإسلامي، 1997)،

الصباغ، محمد بن لطفي، الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، الطبعة الثامنة (بيروت: المكتب الإسلامي، 2003)

عتر، نورالدين، منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الرابعة والثلاثون (دمشق: دار الفكر، 2015)

العراقي، عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل، المستخرج على المستدرك للحاكم (القاهرة: مكتبة السنة، 1989)

القاسمي، جمال الدين، محاسن التأويل (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)

القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة (دمشق: دار الفكر، 1979)

القزويني، محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله، السنن، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، 2009)

القشيري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، الطبعة الأولى (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1422)

المجالي، محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، الطبعة الثانية (عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، 2005)

محمود، عبد الحليم، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (بيروت: المكتبة العصرية، 1977)

المروزي، محمد بن نصر أبو عبد الله، السنة (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987)

المزيني، عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم، مباحث في علم القراءات (الرياض: دار كنوز إشبيليا، 2011)